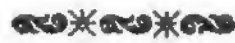


الخطّة «دمشق» من الذى باعها لليهود



نشرت مجلة (آخر ساعة) فى عددها رقم ٧٩٩ الصادر بتاريخ
١٥ - ٢ - ١٩٥٠ المقال الخطير التالى :

العملية دمشق

هذا سر خطير من أسرار حرب فلسطين يذاع لأول مرة !
ومن سوء الحظ أن إذاعته لن تكون مفاجأة لقيادة الجيش
الاسرائيلى ، وذلك لأن خطة العملية التى سميت بالاسم الشفرى
« دمشق » - والتى كانت من أخطر عمليات حرب فلسطين - قد
تسربت كلها الى اليهود

ولقد حدث أن أسر أحد الضباط المصريين الذين كانوا
يشاركون فى تنفيذ العمائة ، وكان من القلائل الذين يعرفون سرها ،
وهو الضابط المصرى - وهو الصاغ معروف الحضرى - لما وجد
ضابط المخابرات اليهودى الذى كلف باستجوابه يقول له :

- إننا نعرف كل شىء عن العملية السرية التى تقومون بتحضيرها
ونعلم كافة تفاصيلها ، بل نعلم أنكم أطلقتم عليها اسما سريا ليستعمل

في الشفرة ، وهو اسم « العملية دمشق » ،

وحدث أيضا أثناء مفاوضات رودس لتوقيع الهدنة أن
الدكتور باناش فاجأ المفاوضين المصريين مرة بقوله : لماذا لم تنفذوا
« العملية دمشق » ؟

وبهت المفاوضون المصريون ، « فقد كان المفروض أن سر
« العملية دمشق » سر محصن بالسكتان

وحدث أيضا ما هو أدهى وأمر - أثناء مفاوضات رودس -
« فقد قال الجنرال يادين - رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلي
الآن ، وكان وقتها يرأس وفد اسرائيل في مفاوضات رودس -
موجها الحديث للمفاوضين المصريين :

« أليس صحيحا أنه كانت هناك خطة تقضى بكذا .. وكذا ؟ »

وروى « يادين » بعد ذلك كل تفاصيل « العملية دمشق » ،

وكانت فجيرة وفد مصر في هذا الموقف لا توصف ، ثم تحامل
أحد أعضائه على نفسه وقال :

- ان هذا غير صحيح .. بدليل أن العملية لم تنفذ !

وابتسم « يادين » ، في خبث ودهاء !

لو نفذت دمشق

ولقد كان المفاوض المصري على حق في قوله « إن العملية لم

تنفذ » !

وكان « يادين » على حق في ابتسامته المليئة بالخبث والدهاء !
فلو أن العملية دمشق نفذت لكانت النتيجة كارثة ماحقة
وكانت أولى النتائج أن تفقد مصر أربعة آلاف جندي وضابط
كانوا محاصرين في الغالوجة وان يفقد سلاحهم .. وقبل هذا كله
شرف الجيش المصرى وسمعته !

ولقد اعترف الكولونيل عبد الله التل بك القائد الأردني
اللاجئ الى مصر « أن الخطة كانت مبيتة للقضاء على قوات الغالوجة
بأكملها ! »

ثم يبقى بعد ذلك أن نسأل : ما هي الخطة .. وما هي قصة
العملية دمشق ؟

الموقف : أكثر من حرج !

في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ كان الموقف العسكرى في
فلسطين حرجا بالنسبة للقوات المصرية .. بل لعل التاريخ فيما بعد ،
حين يروى القصة الكاملة لهذه الفترة سيصف الموقف في ذلك الوقت
بأنه « كان أكثر من حرج ، وأكثر من خطير » !!

وكان من أهم مراكز الخطر ان هناك أربعة آلاف جندي
وضابط من الجيش المصرى محاصرين في الغالوجة ، وهم يكوّنون
ثلاثا من أبرز كتائب الجيش وأوفرها سلاحا !

وكانت القيادة العامة في فلسطين والقيادة العليا في القاهرة ،

دائبتى التفكير فى عمل شىء ما لاجراج قوة الفالوجة من الحصار
وكان المتفق عليه بين كل خبراء التاكتيك أن المحاولة الوحيدة
لاخراج قوة الفالوجة من الحصار ، يجب أن تجىء من اتجاه « بيت
جبرين » الى « الخليل » و « بيت لحم » لانها أقرب نقط عربية الى
القوات المحاصرة

ولما كان جيش الملك عبد الله يحتل « الظاهرية » بقرب بيت
جبرين فقد رأت القاهرة أن تتشاور مع عمان ، فى امكان القيام
بمجهود مشترك لعمل شىء ما لقوات الفالوجة من هذا الاتجاه !

تعهد من جلوب باشا

وفى أول نوفمبر استدعى من عمان الأميرالاي سعد الدين صبور
بك قائد سلاح الفرسان الملكى المصرى - وكان يقيم فيها بوصفه
رئيس هيئة المستشارين العسكريين لجلالة ملك شرق الاردن !
وبقى صبور بك فى القاهرة عدة ساعات ثم سافر على الفور الى
عمان

ومضى يوم ثم تلقت القيادة المصرية العليا فى القاهرة منه برقية
شفرية تفيد أنه اتصل بالملك عبد الله لمحاولة عمل شىء وأن صاحب
الجلالة الهاشمية أحاله على الجنرال جلوب باشا ليلبحث معه الموضوع !
وبعد يومين تلقت القيادة العليا فى القاهرة رسالة شفرية أخرى
من صبور بك هذا نصها :

« بعث إلى جلوب بالتعهد الكتاني التالي مع الماجور لوكيت :
أتعهد بالذهاب وإخراج لواء الفالوجة بأقل الخسائر الممكنة
على شرط أن تصل إلى موافقتكم في ظرف ١٢ ساعة - سوف لا يذكر
اسمي أو اسم الجيش العربي لأي مخلوق - عزام باشا يعرفني وأنا
أعمل هذه العملية بحمي لمصر - انتهى تعهد جلوب - أرجو سرعة
البت في هذا الموضوع الليلة »

وبعد ساعات أبرق صبور بك إلى القاهرة بتفاصيل العملية التي
يقترحها جلوب باشا ، وهذا هو ملخصها أو ملخص الخطة التي أطلق
عليها الاسم الشفري « دمشق » :

- ١ - يقدم الجيش العراقي كتيبتين
- ٢ - يقدم جيش شرق الاردن كتيبة واحدة
- ٣ - تقوم الكتائب الثلاث بالضرب في منطقة بيت جبرين
- ٤ - في أثناء انشغال اليهود مع الكتائب الثلاث يقوم
الأميرالاي السيد طه بتدمير كل مدافعه الثقيلة ومواقعه . . . ويأمر
جنوده بالتسلل مشيا على الأقدام من طريق سري يعرفه الماجور
لوكيت الضابط الانجليزي بالجيش العربي ، وسيتسلل إلى الفالوجة
ليرشد المنسحبين إليه في طريق خروجهم
- ٥ - يجب تنفيذ العملية بسرعة لأن الكتيبتين العراقيتين لن
تبقيا في الخط أكثر من خمسة أيام بسبب الحاجة إليهما في الشمال

خبير في التدمير

وفي نفس الليلة عاد الأميرالاي سعد الدين صبور بك فأبرق إلى القاهرة برسالة شفرية يقول فيها بالحرف الواحد :

« يدققون في إرسال المستشار لتنفيذ العملية ، علما بأنه درس الأرض مشيا على الأقدام ، ويعلم المسالك والمخاض التي لا يمكن إرسالها باللاسلكي - ستسحب القوات ليلا بعد تدمير أسلحتها الثقيلة وستجرى عمليات مشاغلة في جهات متعددة - أرجو سرعة البت »

وبدأت القاهرة - بنواياها الطيبة التي تفوق طيبة الملائكة ١ - تفكر في الخطة جديدا

وشهدت الأيام الثلاثة التالية لهذا عدة خطوات عملية ..

انتقل سعد الدين صبور بك من عمان إلى قرية صغيرة اسمها « خربة عوا » قريبة من بيت جبرين ..

وبدأ « لوكيت » - الذي أطلق عليه صبور بك في رسالته للقاهرة لقب « المستشار » - يعد العدة ليتسلل إلى قوات الفالوجة ويحمل إليها التفاصيل ...

وتسلل « لوكيت » فعلا ومعه ضابط مصري هو الصاغ معروف الحضري عن طريق خربة الوبة فالجحظ فعراق المنشية فالفالوجة ٢ ولم ينس المايجور لوكيت أن يصحب معه في تسلله جاويشا

بريطانيا خبيراً في التدمير ليتولى نفس المدافع الثقيلة المصرية التي لا تستطيع القوة المنسحبة أن تحملها معها

محاولة انتحار

وفي صباح ٢٠ نوفمبر وصل لو كيت الى الفالوجة وكان يرتدى سروالاً من التيل الكاكي الطويل وقيصاً من الصوف ويضع على رأسه عقلاً أحمر على بشارة الجيش العربي . . وجلس لو كيت على صندوق خشبي قديم وأخرج من جيبه علبة من النشوق وأخذ يعطس . . ثم تحول ببصره الى مواقع الضرب وأحصى ستاً وثلاثين قنبلة سقطت على مواقع الفالوجة في برهة قصيرة ، ثم بدأ يتكلم مع الأميرالاي السيد طه ويشرح له خطته

وقال لو كيت - وهذا نص كلامه - دانه يحمل أوامر من الملك عبد الله ومن صبور بك لسحب قوات الفالوجة الى الخليل بعد تدمير المدفعية والعتاد الثقيل والعربات ، على أن يكون انسحاب الجنود بسلاحهم الشخصي وأقصاه مدفع البرن الاوتوماتيكي ،

وأبدى الأميرالاي السيد طه بك تشككه في إمكان تنفيذ هذه العملية بهذه البساطة . . وقال لو كيت في إصرار باللغة الانجليزية :
But we have to risk it ! أى يجب أن نقوم بهذه المخاطرة !

اطرد ذلك السكير

وعلم القائد العام في غزة اللواء أحمد فؤاد صادق بهذه الخطة من الفالوجة ، فقد أ برق اليه السيد طه يقول ان عنده في الفالوجة الآن

الملاجور لو كيت وجاويشا بريطانيا إخصائيا في التدمير . ثم روى له
الخطة .

وبحثت القيادة العامة في غرة الخطة من كافة نواحيها وكان رأيها
يتلخص فيما يلي :

- ١ - أنه لا يمكن الاطمئنان الى خطة يضعها جلوب باشا
 - ٢ - أن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تخفى على اليهود ما دامت قد
أصبحت شائعة الى هذا الحد في عمان .
 - ٣ - أن سحب أربعة آلاف جندي مشيا على الاقدام في مواقع
يحتلها اليهود يعرضهم جميعا لخطر الابداء
 - ٤ - أن نصف المدافع والسيارات سيلفت أنظار اليهود ، ثم إن
نسفها وتدميرها خسارة فادحة على الجيش
 - ٥ - أنه لا يمكن الاطمئنان الى قيمة عمليات « المشاغلة » التي
أفترض أنها ستشغل اليهود وتلهيهم عن عملية الانسحاب
 - ٦ - أن ٥٤ كيلو مترا مسافة طويلة لجندى منسحب على قدميه
تحت وابل من رصاص العدو
- وأخيراً أوبرق اللواء أحمد فؤاد صادق باشا إلى الأميرالاي
السيد طه يقول له : « ارفض هذه الخطة . . واطرد ذلك السكير
لو كيت من مواقعك . . أي يجد عسكري في مثل هذا العمل . . انها
كارثة محققة . . دافعوا عن مواقعكم لآخر طلقة وآخر رجل ،
فممكننا يجب أن يكون جنود مصر »

تعهدات في الهواء

وبدأت الخطة د دمشق ، تهتز . . ودارت مخابرات ومحادثات ،
ثم وافق القائد العام اللواء فؤاد صادق عليها بشرطين هامين :
الاول - أن تبدأ الكتائب العراقية والأردنية الثلاث عملياتها
وتحتل بيت جبرين

الثاني - أنه في ذلك الوقت يستطيع القائد العام أن يطمئن الى
جدية المساعدة ، فيصدر أوامره الى قوات الفالوجة أن تنسحب الى
بيت جبرين مقاتلة . . لا متسللة .

وبذلت عدة مساع لتوفير الضمانات التي يطلبها القائد العام
المصري . . ثم شاء القدر أن تنكشف الخطة دمشق . .

فقد رفض الجيش العراقي أن يقدم الكتيبتين اللتين تعهد
بتقديمهما لتقوموا بمشاةلة العدو ، ثم اعتذر جيش شرق الأردن
- الذي يقوده جلوب صاحب الخطة - بأنه لا يستطيع توفير
الكتيبة التي تعهد بتقديمها !

وعاد القائد العام يبرق الى السيد طه قائلا :
« اطرء ذلك (السكير) لو كيت من مواقعك ،

تفضل من هنا

ويبقى سؤال هام :
من هو « لو كيت » ؟

« كان الماجور لوكيت ضابطا في المخابرات الانجليزية ، وخدم فترة في فلسطين ، وكان ياورا للجنرال ونجت الذي أشرف على تدريب جيش الهاجاناه اليهودي . . ثم نقل ونجت الى بورما ومعه « لوكيت » . . وعاد لوكيت وحده بعد الحرب الى الشرق الأوسط ، وكانت القلاقل قد بدأت في فلسطين ، فتم إرساله الى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة يطلب استخدامهم مع قوات المتطوعين ، واستأجرته الجامعة العربية فعلا - مع الأسف - ثم فجأة انتقل ضابطا في صفوف الجيش العربي وأصبح موضع سر جلوب باشا . ولقد ثار « لوكيت » لما استدعاه السيد طه الى قيادته صباح أحد الأيام وأبلغه بأدب أن وجوده في الفالوجة أصبح أمرا غير مرغوب فيه .

اليهود كانوا ينتظرون صيدا وفيرا

وخرج « لوكيت » من الفالوجة ، ولكن قصة العملية دمشق لم تنته !

وبعد خروج « لوكيت » تسالت وراءه قافلة مصرية مكونة من سبعة عشر شخصا بينهم الضابط معروف الحضري الذي جاء مع « لوكيت » ، وكان في القافلة عدد من الجرحى رؤى تهريبهم من الطريق السري .

وظهر أن الطريق لم يكن « سريا » - لان القافلة اكتشفت بعد فوات الأوان أن اليهود كانوا يترصدون بالطريق وينتظرون.

صيدا أكثر وفرة من قافلة تضم سبعة عشر شخصا . وقتل - لسوء
الحظ - عدد من أفراد القافلة ، وهام بعض الجرحى على وجوههم
وسقط الصاغ معروف الحضري في الأسر
وكان أول سؤال وجه إليه : - ماهي أخبار الخطة دمشق !

ثم ماذا ؟

وفي هذا الأسبوع . . قال الكولونيل عبد الله التل الذي كان
قائد القدس الأردني وقت محاولة تنفيذ العملية ، وقال بالحرف
الواحد :

« ان الخطة كانت مهيئة للقضاء على قوات الفالوجة بأكملها » ،

ثم ماذا يا صاحب الجلالة الهاشمية ؟

هل سمعت الحكمة التي تقول « اللهم احمني من أصدقائي ، أما
أعدائي فأنا كفيل بهم » ،

هل سمعتها يا صاحب الجلالة ؟

الله يحمي مصر !

محمد حسنين هيكل